ووجود العالم كموضوع منفعل، وهذان الجانبان غير منفصلين عن بعضهما البعض، إنما بينهما حالة من الاتصال تبدو فيما أسماه علاقة الصانع بعمله. فعلاقة الجانب الفعال وهو الرب والمنفعل وهو العالم بما فيه الإنسان هى حفظ الرب للعالم والإنسان لأنه صنعة يده. وهذا يفرض دربا من الالتزام من جانب المنفعل، وهو أن يعرف علة وجوده أو الذى شكله ومن لم يعرف هذا الالتزام فإنه يقيم الفوضوية فى مملكة العالم، وبناء على هذين الجانبين اللذين فرضا من جانب فيلون فإن العالم عنده طبقا لفكره الدينى مكون من جانبين أحدهما مرئى والأخر مدرك بالعقل، وكما هو موضوع للعقل مأخوذ من سفر التكوين، وهذا يعنى أن للعالم بداية، وهذه البداية تدلل على عظمة الرب grandeur.

ويجب أن نلاحظ جيدًا أن سرد هذه القضايا وإن كانت هذه القضايا لها أبوابها الخاصة بها فى فكره فهى تعبر عن رغبة فيلون فى وضع إطار نظرى يبرر به تعانق فكره الدينى مع فكره الفلسفى لإظهار مفهوم خلق العالم.

وقد حاول فيلون الاستعانة بالفلسفة اليونانية وخاصة محاورة تيمايوس لأفلاطون والفكر العبرى فى الكتاب المقدس كأساس يعتمد عليه فى تفسير الخلق وجاء ذلك على مستويين: الأول، النظام العبرى الأسطورى، والثانى، وهو التأمل الموجود فى الفلسفة اليونانية، ومعنى ذلك أنه حاول عمل انسجام بين الموسوية والأفلاطونية فى خلق العالم، مفسرًا للقصة الواردة فى الكتاب المقدس ومستخدما المفاهيم والمقولات اليونانية، وهو ما شكل أساس للفكر المسيحى فى العصر الوسيط وآباء الكنيسة الأُول مثل أورجنت وكليمنت بعد ذلك.

ثانيًا - الخلق المتدرج العالم

عرض فيلون لنشأة العالم عرضًا تاريخيًا يسيطر عليه الأسلوب النثرى

فهو يبدأ بشرح سفر التكوين[1] الذى يتحدث عن خلق العالم بداية من الظلمة إلى اليوم الثانى حتى اليوم الذى استراح فيه الرب. وإن كان سفر التكوين فى مجمل ظاهره يدلل على خلق العالم. إلا أنه عند فيلون أخذ منهجًا جديدًا يحاول أن يرسخ به أوليات الفكر الدينى اليهودى، لأن خلق العالم يعد المدخل الحى لفهم الألوهية. أعنى ليس الغرض من تفسير فيلون لنشأه العالم ذاته، إنما محاولة لترسيخ مفهوم أعمق من ذلك وهو الألوهية من جانب وعلاقة الألوهية بالعالم من جانب أخر.

ويجب أن نلاحظ أن سفر التكوين وحدة تاريخية مترابطة معا. تبدأ بخلق العالم ولا تفصل بين التاريخ والإيمان، لأنه لا انفصال بين الأحداث التاريخية والعقيدة الإيمانية. إنما هناك ارتباط بين النظرة اللاهوتية للتاريخ والنظرة اللاهوتية للاعتقاد[2]. فتاريخ هذا الشعب لا يتجرأ من كلمة الله، ويمثل تدبيرًا إلهيًا فائقًا لأصل خلاص البشرية كلها. حيث يبدأ التاريخ

(1) دعى سفر التكوين فى العبرية «بى راشيت وهى الكلمة الأولى فى السفر وهى عبرية وتعنى» فى البدأ «وتسميته التكوين عن السبعينية، وتعنى الأصل أو بداية الأمور وفى الإنجليزية generation ومنها generate بمعنى يلدأو يولد أو يتتج وgeneration بمعنى توليد أو نسل أو ذرية أو نشوء وهكذا جاءت نفس الكلمة فيأول أية فى إنجيل متى the book of generation of gensus وهى اليونانية.
ويقع هذا السفر ضمن الأسفار الخمسة من العهد القديم .Pentateuch وقد أستخدم هذا الاسم فى المسيحية منذ عصر مبكر. حاول بعض الدارسين أن يربط بين الأسفار الأربعة الأولى فى وحدة واحدة معًا تحت اسم Tetrateuch إذ نظروا إلى سفر التثنيه بكونها أشبه بمقدمة لتاريخ إسرائيل منذ بدأ دخوله إلى الموعد (سفر يشوع)، بينما حاول البعض ضم سفر يشوع إلى الأسفار الخمسة لتكوين وحده واحده بين الأسفار الستة الأولى باسم octateuch لتشمل التاريخ حتى بدأ عهد الملوك، ولكن لا يزال الفكر التقليدى الأصل يسود على الباحثين فى الربط بين الأسفار الخمسة الأولى كأساس تاريخ يقام عليه شعب الله.

(2) انظر القمص / تادرس يعقوب ملطى: سفر التكوين. الناشر كنيسة الشهيد مار جرجس باسيورتنج. الطبعة الأولى، الإسكندرية، 1983 ص 27، ص 8.

بخلق الإنسان الذى انتهى إليه الخلق عند فيلون وظهر الإنسان كنتاج لله على الأرض وما تحتها وفوقها وما فى أعماقها.

حيث إن هذه الملاحظة يجب أن تدرك جيدًا على حد تعبير ديمديموس الضرير[1]. إن غاية الوحى من الحديث عن الخلق هو تصحيح الأفكار الخاطئة التى تسربت إلى إسرائيل فى هذا الشأن من العبادات الوثنية المصرية وغيرها. وهو يحاول أن يحدثنا عن الخلق كصديق لتفهم عمل الله الخلاصى. فالوحى الإلهى لم يهدف إلى عرض لاهوتيات وفلسفات خاصة بالخليقة وإنما أراد أن يدخل بنا إلى الخالق الذى يهتم بتجديد الخليقة بعد فسادها[2].

واعتقد أن فيلون كان يدرك جيدا هدف الوحى الالهى، إلا أن المؤثرات اليونانية والشرقية بجانب ظهور المسيحية كانت عصا ثقيلة على رأس فيلون. وهذه الجوانب نفسها وجهته إلى الفلسفة حتى يضاهى ما وصلت إليه من عقلانية. وقد أتجه فيلون ذاته للفلسفة من منطلق أن موسى أُعطى خلاصة الحكمة (الفلسفة)[3].

إن العالم فى سفر التكوين خلق فى ستة أيام[4] ليس لأن الرب يحتاج إلى وقت لهذا العمل. لأننا نعتقد أن الرب خلق الأشياء فى أن واحد مع ملاحظة أن كلمة كل تشمل نتاج الفكر التى خلقها. ويؤكد فيلون على هذه الحقيقة باللجوء إلى بعض الصيغ الرياضية التى تبين أن العدد ستة الذى ذكر فى السفر عدد مناسب لهذه الآية. فكلمة ستة أيام ذكرت لأن الأشياء كى تأتى إلى الوجود تحتاج إلى أمر، والأمر يستلزم عدد، ومن بين الأعداد التى

(1) Jerome: Gerome Bbibical, oxford University press. New York, 1956. p 8.

(2) القمص/ تادرس يعقوب ملطى، المرجع السابق، ص 29.

(3) philo: On the creation, ch 11, 8, p 8.

(4) سفر التكوين، 1/6.

فى قوانين الطبيعة، والعدد المناسب لهذا النتاج هو 6، لأننا لو بدئنا بالعدد واحد الذى يعد كاملا فإن الوجود يعادل منتجات هذا الرقم (3 x 2 x 1) وإذا جمعته (3 + 2+ 1) كان الناتج ستة. فنصف الوجود ثلاثة والجزء الثالث اثنين والجزء السادس هو واحد[1] وهذا التأكيد ناتج عن مؤثر أفلاطونى فى محاورة الجمهورية الفقرة 546 .viii. ويجد صداه عند القديس أوغسطين فى مدينة الله de civitate dei, bk. xi. ch 30. وإذا كانت الصيغة الرياضية التى يؤكد بها فيلون أهمية العدد ستة صيغة بسيطة ألا أنه يصيغ واحدة أكثر تعقيدًا فى نهاية بحثه عن الخلق فهو يقول (إذا ضاعفنا العدد 2 ستة مرات نحصل على العدد 64 وكذلك العدد 3 ستة مرات نحصل على العدد 729. ومن ثم يمكن الحصول على العدد 64 بضرب (4 x 4 x 4) وأيضا بضرب العدد(8 x 8) ويسرى هذا النسق على العدد 729 الذى يمكنه الحصول عليه بضرب العدد 9 x 9 x 9 وكذلك بضرب العدد 27 x 27 إلى أن نصل إلى العدد 4096 ويمكن الحصول عليه بتربيع العدد (6x64) 64 ويمكن الحصول عليه من تكعيب العدد 16 x 16 x 16) 16)[2].

---

(1) Philo: on the creation, ch III, 13, p 13.

(2) Ibid. ch xxx. 96 p 77.

يرى فيلون أن قيمة العدد ستة تتضح من خلال رقمين هما 2، 3.
فالرقم 2 إذا ضاعفناه 6 مرات حصلنا على 64 كالأتى:
x 2 = 4, 23 = 2 x 2 x 2 = 8, 24 = 2 x 2 x 2 x 2 = 16 25 = 2 x 2 = 22 ,2 = 21
64 = 2 x 2 x 2 x 2 x 2 x 2 = 32, 26 = 2 x 2 x 2 x 2 إذا ضاعفنا العدد 64 الناتج عن مضاعفة العدد 2 حصلنا على 4096. تربيعه أو تكعيبية كالأتى: بالتربيع 64 64 x
= 4096 or (64)2 = 4096 by squar
بالتكعيب 16 x 16 x 16 = 4096 or (64)^3 = 4096 by cubic
والعدد 3 إذا ضاعفناه حصلنا على 729 كالأتى:
x 3 = 9, 33 = 3 x 3 x 3 = 27, 34 = 3 x 3 x 3 x 3 = 81 3 = 3,32 = 31
35 = 3 729 = 3 x 3 x 3 x 3 x 3 x 3 = 243, 36 = 3 x 3 x 3 x 3 x «الباحث».

ومعنى ذلك أن العدد 6 عدد كامل ويجمع فى طبيعته كل من الذكر والأنثى فالمفرد يحتاج إلى أخر يكمله فالرجل تكملة المرأة. والرجل (الفردى) مبدأه الأساسى أن يبذر والمر أه تستقبل البذور، فالعدد 3 عدد مفرد متواز مع العدد 2 ونتاجهم العدد 6 الذى يمثل الوجود التام لكل أشياء الوجود المتجانسة معه، بقدر ما تكون فى ذاتها موجودات انطلقت من الاقتران معًا. لذا ينبغى أن تدرك الرقم المخترع، أعنى الأول المفرد وما يحويه(1).

مجمل القول هو أن العدد 6 عددا كاملا من الناحية الرياضية وإذا كان هو كذلك عند فيلون فهو كاملً من جميع النواحى سواء كانت أنطولوجية أو بيلوجية. حيث إن الوجود يحمل جانبين السالب والموجب (الذكر والأنثى) أحدهما يمثل العدد الفردى وهو الرجل والأخر يمثل الزوجى وهو المرأة. ويمكن أن ننظر إلى الوجود على أنه مكتمل من هذه الناحية لأن العدد 2 والعدد 3 ممتزجان ومتجانسان وهذه الكيفية تؤدى إلى العدد 6 العدد الكامل.

لكن إذا كان الله قد خلق العالم فى ستة أيام فهل هذا الخلق كان خلقًا أفلاطونيًا على مثال أو نموذج سابق وخاصة أن الفيلسوف محل الدراسة يعد أفلاطونى المذهب أم أنه خلق مبدع من عدم؟ وإن كان هو كذلك فعلى أى كيف كان هذا الخلق من العدم عنده؟.

والإجابة على هذا التساؤل عند فيلون ضربت الاحتمالين السالفين فالله خلق وصنع الأشياء التى لم تكن من قبل(2). لأن الرب هو الرب god being god فالصورة الجميلة لا يمكن أن تكون نتاج من نموذج سابق، فالرب حينما خلق العالم المرئى شكله تماما بنظام يستخدم فيه نموذج كلى أو الروحية

(1) Ibid: ch 111, 14, p 13.

(2) أ/ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 25.

فى خلق العالم المادى كخلق متأخر. والصورة الفعلية المبكرة تلاحظ كموضوعات للإدراك فى ذاتها كأنواع احتوت على موضوعات عاقلة[1]. فذلك يعنى أن الله قد خلق العالم من العدم ولكن قد سبق العالم المدرك أو العالم المادى الحسى عالم عقلى، ويرى يوسف كرم[2] أن فيلون يعنى أن العالم المعقول الذى سبق العالم المادى خلق من عدم، ولده الله كما يلد العقل أفكاره، أما العالم المحسوس فنتيجة تنظيم الله لمادة سابقة، أو نتيجة وسطاء تفعل بين الله والمادة، كما يذهب إليه أفلاطون. ويعلل فيلون هذه التفرقة بأن الخلق صادر عن قدرة الله وخيريته، فلا يخلق من الله وحده إلا الموجود الكفيل بقبول هذه الخيرية. ويقول إن الله حين قال « لنصعن الإنسان على صورتنا ومثالنا » خاطب وسطاء ووكل إليهم صنع الجزء الفانى من نفسنا على النحو الذى صنع هو به الجزء النطقى لأن الإنسان مزاج من خير وشر، والله منزه عن الشر، فكان لابد ممن يضع مبدأ الشر فى الإنسان من دون الله. ولكن فيلون يفترق عن الأفلاطونية والغنوصية فى أنه يجعل المخلوقات التى هى أدنى من الإنسان مصنوعات لله، لأنها ليست بذات أخلاق، والشر هو الشر الخلقى ومن الوجهة الروحية علية الله مباشرة وغير مباشرة: بين الإنسان العاجز والله العلى لابد أيضًا من وسطاء، فالنفس لا تستطيع الوصول إلى الله دفعة واحدة، فتدرج فى صعودها إليه. ودعا فلاسفة اليونان هؤلاء الوسطاء آلهة وأبطالًا، ودعاهم موسى ملائكة ورسلًا، فكان أكثر توفيقًا إذ أنهم يبلغون أوامر الله إلى أبنائه ويحملون صلوات الأبناء لله.

وهذا يدلل على أن الرب خالق للأشياء المعقولة أو الخيرة فهو ينكر أن يكون لأحد نصيب فى خلقه لطبيعة هذا الوجود الذى يملك فى ذاته الخير والخوف والحب وقادر على تيسير كل الأشياء، ولكونه فى ذاته، فهو بلا

(1) Philo: on the creation, ch 1v, 16, p 15.

(2) يوسف كرم : المرجع السابق، ص 250.

نظام، بلا كيفية بلا عقل، بلا شبه، وملىء بعدم الترابط، واعتلال العدالة، واللانسجام، ولكنه قادر على أن يتحول أو يتغير للأفضل ليكون النقيض الفعلى لكل هذه الأشياء السابقة كالنظام، الكيف، الحياة، التطابق، الذاتية، الشبه، العدل، الانسجام إلى أن تصل إلى أى صفة تدل على نموذج جيد[1] وإن كان يوصف الرب عند فيلون بهذه الصفات السلبية السابقة التى يمكن أن يحولها إلى صفات إيجابية كما فى النص السابق. فهنا لا نستطيع أن نفهم ما ذهب إليه يوسف كرم من أن الله لا يخلق الشر لأن طبيعته خيره، ولكن يوكل به وسطاء ـ سوف نعلن عنهم أثناء الدراسة ـ لخلقه، بل الأكثر من ذلك إذا رجعنا إلى عليّة الوسطاء يكون الرب، فمن الأجدر هنا أن نقول إذا كان الرب يوصف بصفات السلب فلما لا نرد مصدر الشر إلى ذاته خيرًا من توكيل الشر إلى وسطاء فيكون الرب بذلك متفردًا فى خلقه للشر والخير معا دون ند أو وكيل أو وسيط سوف نتعرف إلى دوره فى ثنايا الدراسة.

إذن العالم عند فيلون خلق من العدم وهو ما يوافق وجهة النظر الدينية اليهودية فى الكتاب المقدس، إضافة إلى أنها لا تنفصل أيضا عن الاحتمال الثانى وهو تصور الخلق على النظام الأفلاطونى حيث إن الصورة الأولى فى عقل المهندس الذى يجمع فى عقله كل أجزاء المدينة كالمعابد، الملاعب، الأسواق، الموانئ، .... إلخ، ونوعية المبانى المقامة، وبعد أن يدرك ذلك فى عقله soul يظهر فى الشمع. ويحمل أشكال الموضوعات المتعددة التى صنعها فى عقله عن المدينة وبهذه القدرة الفطرية للذاكرة يستعيد الصور المتعددة لهذه المدينة ويختم نماذجه بالتمييز بينها. كالنحات الجيد الذى يبنى مدينة من حجر، مركزا عينيه على نموذجه واصفا الموضوعات المرئية والعقلية، مطابقا كل حالة للأفكار العقلية. فتفكيرنا عن الله فى خلق الله كذلك عندما خلق المدينة أو الكبتول أدرك قبلًا نماذج أجزاءه. وخارج هذه النماذج صنع عالمًا من التأمل مدرك فقط بالعقل، ومن ثم كان العالم

(1) Philo: on the creation, ch Iv, 23, p 19.

الذى يمكن أن ندركه. وكذلك المدينة التى صممها عقل المهندس مسبقا ليس لها مكان سوى عقل الله divine Reason لم يشأ الله أن تكون[1].

وهنا يستفيد فيلون جيدًا من الفكر الأفلاطونى ففكرة الشمع والخاتم هى فكرة أفلاطونية مردها إلى محاورة السوفسطائى[2] ووجه الاستفادة أن فيلون وظف هذه الفكرة لإثبات ما قبلية العالم أو خلق العالم فى العقل قبل الخلق المادى من العدم. ولم تقتصر الاستفادة على الفكرة فحسب إنما وصلت إلى أن يتبع المصطلح الأفلاطونى لأنه استخدام كلمة soul بمعنى عقل أى بالمعنى اليونانى الذى اعتاد أن يستخدمه أفلاطون فى حين أنه فى مواضع أخرى يستخدم كلمة reason أو mind إلا أنه استبدل مصطلح المثال بمصطلح عالم الأحدية notic world.

ورغم أن فيلون سار على درب أفلاطون فى تشبيه الخالق بالصانع أو المهندس وكان ذلك فهما حرفيا للديمورج demiurge الأفلاطونى ليحل المبادئ السامية محل عالم المثل، إلا أنه حل هذه المشكلة حيث إن عالم المثل ليس له وجود سوى عقل الرب الذى نظم العالم، وقد أكد هذا الحل حينما وضع أمامه ثلاثة قضايا الأولى: أن عالم المثل ما هو إلا العقل الذى خلقه الرب والرب، والثانية: أن القضية واضحة بمثال الإنسان الصانع، والثالثة: أن فيلون يعلن أن هذا المثال ليس من اختراعه إنما هو موجود فى كلمات موسى فى التكوين[3] [4].

---

(1) Ibid: chv, 20, p 17.

(2) plato: sophist. Translated into English and introduction by F.M. Cornford under adress "the theory of knowledge" Routlege, London, 1968.

(3) g. c. m. van winden: the world of ideas in philo of Alexanderia, an essay in vigiliae christianae editors in chife, A. F. G. klign. and others, e. g. brill. Leiden, 1983 pp 210 - 11.

(4) يفهم منه ان الله خلق الإنسان على صورة الرب بعد صورة الرب أو بعبارة أخرى انه

إذن فيلون لم يتنصل من يهوديته ولا من أفلاطونيته حينما قرر أن العالم مخلوق من عدم وهذا الفهم كان مفروضا علينا من قبله لأن هناك عبارات لا تفهم إلا على هذا الكيف كقوله مثلا: الإله لم يخرج الأشياء من الظلمات إلى النور فقط، ولكن ما كان منها غير موجود سابقًا قد خلقه أيضًا، لذا فهو ليس صانعًا فحسب بل خالقًا أيضا[1]. أو أنه يقول: أن الإله خلق مع الأجسام المكان والزمان[2].

ومجمل القول هو أن فيلون يميز بين دربين من الخلق أو الإيجاد ويشير إليهما حين يميز الإنسان المثال الذى أوجده الله، من الإنسان الأرضى الذى صنعه فالإيجاد أو الخلق يكون عن مادة أو فى مادة، ولكن هذه المادة ليست موضوع إيجاد. حيث يبقى الأثر أو العمل الإلهى هو دائمًا عمل الديمورج. وإذا كانت هناك كائنات بلًا مادة كالمثل وهى العقول المحضة، فهذه الكائنات بلا مادة وهى من عند الله بلا أم أى بدون مادة، ولهذا السبب يمكن إطلاق كلمة خلق من عدم على هذه الكائنات المعقولة وحدها، ولا يمكن تصور كلمة خلق إلا بوجود مثل أو أفكار فى عقل الله[3].

والملفت للانتباه فى هذا المجمل من نظرية الخلق من العدم عند فيلون ليس النظرية ذاته، لأن النظرية ليست بجديدة على العقل البشرى ولو بحثنا فى تاريخ الفكر السابق على فيلون لوجدنا كثيرين انطلقوا من مفهوم الخلق من العدم، ولكن الجديد عند فيلون الذى أدخله للفلسفة ليس الخلق أو

صورة الصورة an image of an image وتعنى ان العالم المرئى صورة لصورة الرب أو ان العالم المرئى خلق بعد صورة الرب «عقل الله» على حد تعبير فيلون «الباحث».

(1) Philo: on Dreams1, the workes of philo translated by colson harvard university press, 1962, volLv, ch XIII, 76 p 337 .

(2) philo: de confusing, the workes of philo translated by colson harvard university press,1962,voLiv,chXXVII, 136,p83

(3) أميل يرهييه: الآراء الدينية والفلسفية لفيلون السكندرى، ص 118.

الإيجاد من العدم وإنما الإيجاد على درجات مختلفة وبواسطة كائنات وسطاء بينه وبين العالم[1].

وهذه الدرجات فى الخلق قد أتت على مراحل متفاوتة أراد أن يوضح بها فيلون أن الخلق لم يأت اعتباطًا أو أنه مسألة مفاجئة، إنما الخلق طبقًا لفكره الدينى استلزم مجموعة من الاستعدادات مثل المائدة التى يعد عليها الطعام قبل أن تأكل الناس، وأيضا كالممثل المسرحى أو الرياضى قبل أن يعرض المشهد المؤثر على الجمهور، إنه يستعد لذلك بعمل مجموعة من العروض التى تسبق المشهد[2]. حيث إن الخلق بدأ من الأقل درجة إلى الأعلى درجة فى طبيعته وينتهى بأفضلها جميعًا، وهو عبارة عن تطور طبيعى، يبدأ من شيء فقير جدًا إلى منتهى التطور، أعنى، يبدأ من الظلمة إلى الإنسان كالبذور تكون لا شيء وفى النهاية تعطى ثروة عظيمة فى مرحلة النضج[3].

هذا التدرج قسمه فيلون إلى ست مراحل أو درجات طبقًا لتفسيره للكتاب المقدس، ويدل هذا ضمنًا على أن مفهوم التدرج فى الخلق لم يكن نابعًا من الفلسفة اليونانية عنده لأن الشريعة واضحة، إنما حاول أن يعطى لهذا الوضوح نزعة فلسفية تضاهى ما وصل إليه العقل اليونانى منطلقًا من أن موسى قد أعطى الحكمة. واضعين فى الاعتبار أن كل مرحلة أو تدرج يمثل يوم من الأيام الستة فى الكتاب المقدس، لأن الرب خلق العالم فى ستة أيام[4]

(1) نفس المرجع، ص 120.

(2) Philo: on the creation. ch. xxv. 77, p 61

(3) لا يقصد فيلون هنا أن هناك طفرات تطور طبيعى حدثت فى العالم كما يقول دارون فى نظرية النشوء والتطور وإلا كان ذلك مخالفا لفكره الدينى. إنما قصد ان هناك خلق متدرج للعالم بدا من لا شيء منتهيا إلى المطلق الذى يستفيد من كل الأشياء المخلوقه سلفا عليه الذى يعنى به هنا الإنسان. الباحث.

(4) لان الرب خلق العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع. «فأكملت السموات والأرض وكل صنعها. وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى

وإذا أردنا أن نعرض لهذا التدرج للخلق عند فيلون السكندرى طبقًا لفكره الدينى سيكون عرضًا موجزًا، حيث إنه أطنب كثيرًا فى هذا العرض لدرجة أنه من كثرة الإطناب ضاعت منه الفكرة الأساسية وتداخلت المراحل مع بعضها البعض. ويجب أن نلاحظ أن التدرج فى الخلق عنده كان تدرجًا فى العالم المعقول أو فى النموذج الذى وضعه الله فى عقله، وكل تدرج من هذه التدرجات فى هذا العالم يوازيه تدرجًا آخر فى العالم الحسي.

1ـ التدرج الأول (اليوم الاول)

بدأ فيلون تدرجه فى خلق العالم بافتتاحية سفر التكوين «فى البدء خلق الله السموات والأرض»[1] رائيا أن كلمة البدء لا يقصد بها النظام العددى فعندما يقول موسى «فى البدء خلق» تساوى الأول خلق السموات[2] ويعنى ذلك أن البدء «لا يقصد به إطارا زمنيا والا كان للبدء بداية ونهاية، وهكذا تكون لهذه البداية بداية وتدخل فى سلسلة لا متناهيه من البدايات، لكن البدء هنا يعنى حركة أولى لا يقصد بها الكم زمنيا. كالقول: بدء الحكمة مخافة الله» وأيضًا لا يعنى وجود زمن فى بداية الحركة للعمل، إنما يؤكد انتزاع فكرة الأزلية، فمع عدم وجود زمن لكنه وجدت بداية قبلها إذا كان العالم عدما[3] كما قلنا أن العالم عنده مخلوق من العدم من قبل. وإذا قلنا على

اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل، وبارك الله فى اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمله الله خالقا». الكتاب المقدس. سفر التكوين. 2 / 7

(1) سفر التكوين 1/ 1.

(2) Philo. on the creation. op. cit. ch vii. 27 p 23

(3) القمص / تادرس يعقوب ملطى. المرجع السابق ص 41، يرى القديس اوريجين فى كتابه عظة على التكوين ان هذا تفسيرا حرفيا لكلمة البدء لأن التأويل يقتضى ان يكون البدء فى كلمته ـ المسيح ـ كما يقول الانجيلى يوحنا « فى البدء كان الكلمة، والكلمة عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان فى البدء عند الله ـ كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان (يوحنا: إصحاح أول 30) فالكتاب لا يتحدث عن بداية زمنيه، إنما

عكس فيلون أن البداية تعنى زمنا فإن ذلك يطرح بفكر أزلية العالم عرض الحائط كما سنوضح فى الفصل الثانى من هذا الباب.

تبع خلق السماء أن يخلق الرب النور الذى جاء من العالم المعقول الذى أقامه الرب فى عقله الكلى وحجب عن الظهور قبل وجود الظلمة لأنه سوف يخضع للتغير طبقًا لضرورة خروج العالم من المعقول إلى المدرك الحسى. فالنور مادة ملتهبة من الضوء المعقول الذى سبق خلق الشمس التى عندما خلقت اختفت الظلمة بطريقة عكسية، وقد تصور فيلون أن هناك حالة صراع أبدى بين النور والظلمة(1) والضرورة تحتم عليه أن يقضى على حالة الصراع الأبدى بينهم بوضع فاصل بينهم وهو الصباح والمساء ـ ولا يعنى ذلك أنه يفصل بين النور والظلمة ولكنه يضعهم فى علامات محددة كى يقضى على امتدادهم ((2)).

عن البداية التى هى الملخص، إذ به صنعت السموات والأرض. انظر العظة الأولى من عظات على التكوين لأورجين origin: homilies on genesin, the writing and homilies translated by Toseph Bingham, in "intiquities of the christin church" (origins ecclesiasticace) vol 5. London 1836. hom 1

(1) هناك روايات كثيرة عن خلق العالم عند الديانة الأورفية ولكن أهم رواية تذهب إلى ان المبدأ الاول وهو الزمان «كرونوس» نشأت معه الضرورة وهى القضاء والقدر فسيطر على العالم. وأنجب الزمان الهواء الأثيرى والظلام، وعمل بيضه فى الهواء الأثيرى فانقسمت فخرج منها فانس phans المضىء وعند انقسام البيضه صارت نصفين الاول السماء والأخر الأرض، ويعد فانس المضىء أو النور خالق الكون ومن أسمائه زيوس، وديونيسيوس (الخمر) وايروس (الحب)، وبان pan (التناسل)، وميتس metis (العقل) انظر Socratic philosopher, - freeman. Ancilla to the pre 10 - oxford, 1966. pp 9

وانظر أيضا د. محمد فتحى عبدالله: النحلة الأورفية: أصولها وأثارها فى العالم اليونانى، ص 5.

(2) Philo: on the creation, op cit. ch v 111. 3i p 25.

ويمكن أن نستنتج بعض النتائج من النصوص التى وردت عن تفصيل هذا النور. فالنتيجة الأولى: أن النور المتجسد فى الشمس والقمر والنور لم يأت من عدم أو من الظلمة إنما أتى من العقل لأنه موجود منذ الأزل. النتيجة الثانية: أن الصراع بين النور والظلمة صراع من أجل السيادة. النتيجة الثالثة: أنه مع قدوم النور بدأ الزمن لذا قال الرب فى التوراة فكان يوما واحدا[1].

ويحيلنا فيلون هنا إلى تساؤل نتج عن ملاحظته للكلمة فكان يوما واحدًا ولم يقل فكان اليوم الأول على غير ما سيقال فى المراحل الآتية اليوم الثانى والثالث،...... الخ ويرى أن هذه التسمية تسمية ناجحة ومتوافقة وتدل على الوحدة ومتناغمة مع الأعداد من ناحية أخرى[2]، كما أنها ترجع إلى تفرد العالم المعقول، وبذلك تأخذ نسب طبيعى للعدد واحد[3]. وكلمة يوم فى الإصحاح الأول من سفر التكوين إنها لا تعنى يومًا زمنيًا يحصر فى 24 ساعة إنما تعنى حقبة زمنية قد تطول إلى ملايين السنوات، فالشمس والقمر وبقية الكواكب لم تكن بعد خلقت حتى المرحلة الزمنية الرابعة، وبالتالى لم يكن يوجد من قبل زمن مثل الذى تخضع له الآن، كما لم يكن للعالم نهار وليل بالمعنى المادى الملموس[4].

---

(1) Ibid: chix 34 -. p 27.

(2) Ibid: chiv, 16, p 15.

(3)Ibid. chix. 36, p 27 .

(4) وردت كلمة يوم فى الكتاب المقدس بمفاهيم متعددة، فأحيانا يقصد بها الأزل حيث لا توجد بداية، كقول الأب للابن: «أنت إبنى انا اليوم ولدتك» (مز 2: 7)، اع 13: 32، عب 1: 5 كما قيل عن الله: «القديم الأيام» (د 71 :1) بمعنى الأزلى. وجاء عن «اليوم» بمعنى الأبدية التى فوق الزمن كالقول: «يوم الرب» (اع 2 :20)، أى مجيئه الأخير حيث ينتهى الزمن. انظر القمص/ تادرس يعقوب ملطى. المرجع السابق ص 39 ـ 40.

ونهاية، اعتمد فيلون فى هذه المرحلة على الرواية الكهنوتية(1) (2) التى تبدأ بالقول «فى البدأ خلق الله السماوات والأرض» أو «خلق ألوهيم السماوات والأرض» كما فى الرواية السبعينية المترجمة عن اليونانية غير معتمد على روايتين أخريين يسردهما معظم مؤرخى الفكر الدينى اليهودى وهى الرواية اليهودية التى تبدأ بـ «هذه مبادئ السماوات والأرض إذ خلقت يوم صنع الرب الإله الأرض والسماوات» والرواية الألوهية التى تبدأ ـ حسب ما وصل إلينا من أعماله ـ لتاريخ إسرائيل مع الجد الأكبر لهذا الشعب إبراهيم (ف12) على خلاف روايتى اليهودى والكهنوتى اللتان تبدأن بنشأة العالم ووجود الإنسان(3).

2 ـ التدرج الثانى والثالث (اليوم الثانى والثالث):

بدأت المرحلة السابقة بخلق السماء والنور وهذا الخلق كان ضروريًا

(1) هناك أربعة مصادر أو روايات لنصوص الكتاب المقدس جمعها باحثى القرن التاسع عشر وهى مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء الأتية : الوثيقة اليهودية، والوثيقة الألوهية، وسفر التثنيه، والنص الكهنوتى. وقد افلح الباحثون فى إعطائها أعمارا:

(أ) تقع الوثيقة اليهودية فى القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت فى مملكة الجنوب).

(ب) اما الوثيقة الالوهميه فهى لقرب تاريخا بقليل (وقد حررت بإسرائيل).

(جـ) وأما سفر التثنيه فينتمى إلى القرن الثامن قبل الميلاد فى رأى ادفن جاكوب، وهناك بحاثه آخرون، مثل الأب ديفو، يرزن انه ينتمى إلى عصر جوزياس (أى القرن السادس قبل الميلاد). انظر...موريس بوكاى: القران الكريم و التوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف القاهرة 1983 ص .29.

جان باتيرو: ولادة اله التوراة والمؤرخ. ترجمة عبد الهادى عباس ـ جهاد الهواش، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، دمشق، الطبعة الأولى 1999م. ص 155.

(2)

(3)

لأنه مع خلق السماء وجد الزمن، وهو الفاصل بين النور والظلمة، وقد فعل الخالق كذلك بعصمته وجلال عقله، وما للسماء من قيمة عقلية تحتلها من بين الموضوعات العقلية الأخرى. وبدأت بعد ذلك مرحلة تالية وهى اليوم الثانى للخلق و يشهد هذا اليوم نزول الماء إلى الأرض وامتزاجه بالطين، لذلك يمكن أن نطلق على هذه المرحلة إن جاز التعبير ـ مرحلة الامتزاج ـ لأن الماء شق طريقه فى جميع الأنحاء كما يتشبع الإسفنج بالماء والرطوبة، فتكونت المستنقعات والأرض الرخوة وامتزج الماء والأرض وأصبحا كتلة واحدة من العجين، أعنى، عنصرًا واحدًا دون تميز لأجزائه المفردة. وأمر الرب المياه المالحة التى علة قاحلة ـ مصدر قحل ـ للأشجار والمحاصيل وطفقت إلى نفس المستوى التى عليه الأن. وبدأت اليابسة فى الظهور، وعملت الرطوبة كماسك للأجزاء المنفصلة كى تمنع الأرض من أن تجف كلية أو أن تصبح غير منتجة. كالأم التى تمنح الذرية(1).

إذا كان الماء قد هطل على الأرض فبالتالى فقد أنبتت العشب والمراعى الحية ومع التحول تغيرت أنواع الأعشاب مع اختلاف الزمن، ثم فسر ذلك عملية نمو الأعشاب بشكل وكأنه يقودنا من البداية (بداية البذر) بسرعة إلى النهاية ويضع النهاية كالفنان الذى رسم طريقة للبداية، فالنهاية عنده مخرج للبداية، وهذا المخرج يتكرر مرة ثانية، كما تضع البذور فى ذاتها ويأتى النبات بداية مخرج للنهاية beginning of the end والشيء الملفت للنظر فى هذه المرحلة، هو التأويلات الجنسية المتعددة ومنها. الأول: تشبيه الأرض الرطبة بالأم التى تعطى الذرية. الثانى: أن الأرض لها عروق مربوطة مثل النهدين. الثالث: تشبيه الأرض بالمرأة الحبلى التى تخرج من بطنها بذور بقائها حيث ترجع البذور من نقطة بدئها، مانحةً الأنواع بالفناء، صانعًا منها حصصا للوجود الأزلى.

(1) Philo: on the creation, ch. xx11, 43, p 33.

وهذه البذور التى لا تنتهى بنضجها ما هى إلا تعبير أنكساجوراس. حيث يعتقد أن الأشياء متباينة فى الحقيقة كما تبدو، وأن قسمة الأجسام، بالغة ما بلغت، تنتهى دائما إلى أجزاء مجانسة للكل: تنتهى إلى لحم فى اللحم، وإلى عظم فى العظم، فلا تلاشى القسمة أبدًا طبيعة الشيء المقسوم،......، وإذا كان الوجود لا يخرج من اللاوجود ـ باتفاقهم جميعًا ـ فكيف يخرج الشعر من اللاشعر، واللحم مما ليس لحمًا[1] أو كقول أرسطو أن الكون ظهور عن كمون، والفساد كمون بعد ظهور دون تغير فى الكيفية[2]. وقد تداخلت هذه المرحلة أو الدرجة مع الدرجة التى تليها لدرجة أننا لا نستطيع أن نفصل بين الأثنين.

3ـ ا لتدرج الرابع (اليوم الرابع):

انتهت المرحلة الثالثة أو التدرج الثالث بحقيقة هى أن الأرض اكتملت والسماء بجمالها العقلى لم تزل فى العقل. وإن كان لا يعنى ذلك أنه وضع السماء فى مكانة أقل من الأرض لكون الأرض سابقة فى الخلق على السماء أو أن السماء فى مرتبة ثانية. إنما الأرض اكتملت بالماء والعشب والحيوانات وغيرها من الموجودات الحسية لكى يقضى على شكوك الدين الظاهرى لدى الإنسان. ذلك الدين الذى يتعلق بالمحسوس[3]. إذا كانت الدرجة الأولى من الخلق قد شهدت الخلق العقلى للسماء إلا أن فيلون بفكره الدينى يرى أن هذه المرحلة سوف تشهد إعادة تنظيم السماء وتزينها حيث خرجت من الحيز المعقول إلى الحيز المدرك الحسى، وقد يرجع ذلك الإخراج إلى أن العقل يدرك الموضوعات الروحية اللامادية، والرب

(1) ا/ يوسف كرم. المرجع السابق ص 41: 42.

(2) أرسطو. الكون والفساد. ترجمه إلى الفرنسية بار تملى سنتهيلر، تعريب د. أحمد لطفى السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1932م، م، ف 1.

(3) philo: on the creation, ch, x1v, 45 p 35.

لا يريدها كذلك إنما يريدها مرئية لنور العين الذى يدرك الأجسام حتى يؤمن الإنسان بوجود خالق. وإن كان فيلون قد أخرجها من حيز العقل فلا يعنى ذلك قصور العقل ولكن بأن نعمة العقل ليست عند كل البشر والعين أو الإدراك الحسى نعمة شائعة لدى الجميع وقد يرتد فيلون فى هذه الدرجة إلى أفلاطون حيث تضرب الفكرة هنا بجذورها إلى محاورة تيمايوس(1). وهو يقول عندما نور النهار تيار البصر، ويقع ذاك الشبيه على الشبيه فيتكاثف ذلك النور وينشأ وينطبق على خط الناظرين المستقيم جسم واحد مؤتلف.

إن فيلون هنا صبغ النور الحسى بصبغة عقلية، حيث يتبع لأمر إلهى روحى، فالرب خلق الأجسام السماوية وخلق حواسنا على وعى بها وقد يخدم هذا النور أغراضًا وهى إعطاء النور ذاته لإنارة العالم من جهة أولى، وليكون علامات من جهة ثانية، و لتثبيت فصول السنة من جهة ثالثة أى مقياس للزمن لتحديد فصول السنة من شتاء وصيف وربيع وخريف. وليل ونهار، جاعلًا الليل ملكًا على النجوم والكواكب، والنهار سيدًا على الشمس وهذه القسمة دليل بين لما ذكره الرب فهو وبمفرده جعل النهار قسمة للشمس ونصف للزمن، والليل قسمة للقمر(2).

4 ـ التدرج الخامس (اليوم الخامس):

أن الأرض والسماء نظمًا جيدًا. فالأرض فى اليوم الثالث والسماء فى اليوم الرابع، ووضع الخالق على عاتقه تشكيل السلالات المائية فى اليوم الخامس، معتبرًا هناك قرابة بين الحيوانات والعدد خمسة، ومن ثم فقد قام كل أنواع السمك وكل أهوال البحر (حيوانات غير سوية البنيه. sea mon-

(1) أفلاطون محاورة تيمايوس و اكريتيس. ترجمة الأب ـ فؤاد جورجى بربارة. تخطيط وتقديم ألبير ريفو. منشورات وزارة السياحة والثقافة والإرشاد القومى. دمشق. 1968 فقره 45 d.

(2) Philo: on the creation, ch xv11, 53 p 41.

sters) لتكون لها بنية. وشمل هذا الخلق أنواع الأسماك التى تعيش فى القاع والمرافىء والتى تعيش على وجه الأرض، والتى تعيش فى المياه الراكدة الحبيسة. واتبع ذلك الخلق خلق الطيور.

وغلب على هذه الكائنات السالفة الذكر جانب الجسم على الروح أو قل قد غلب عليها مبدأ الحياة، وهى فى طريقها كانت حيوانات وغير حيوانات، أو موجودات بلا حيله، وبقوة الحركة دبت فيها بذور مبدأ الحياة[1].

وهذا التفصيل ليس من بنات أفكار فيلون ذاته، وإنما هو تفسير للنص التوراتى «لتخرج الأرض ذوات نفس حية كجنسها»[2] وإن كان هذا النص يفوق هذا التفصيل الجزئى الذى عرض له فيلون، حين يعلن ضمنا عن بداية خلق الأنفس الحية. فكل ما عرضنا له من درجات فى الخلق لم يشر إلى وجود النفس الحية فكل ما أتى من تجهيزات فى الخلق قدم به إلى المنتهى وهو خلق النفس الحيوانية فى الأسماك والطيور وهى كما يخبرنا فيلون غلب عليها الجانب الجسدى.

5ـ التدرج السادس (اليوم السادس):

هذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها بلغة هيجل مرحلة المطلق. حيث يصل الخلق فيها إلى مرحلة الاكتمال أو قل على حد تعبير فيلون مكافأة للخلق حيث خلق فيها الإنسان ووهب العقل وهو مبدأ الحياة لمبدأ الحياة فى ذاته وهو الإنسان أى عين العين، حيث خلقه الرب على صورته وعلى شبهه[3] ولا يعنى ذلك أن الرب على صورة إنسان، فليس جسم الإنسان يشبه الله، ولكن الشبه هنا يخص العقل ذلك العنصر المالك للروح، وقد خلقه

---

(1)Ibid: ch xxi. 66 p 51.

(2) سفر التكوين: 1 /24.

(3) نفس المرجع: 1 /26.

الرب على هذا الكيف حتى يقود الإنسان إلى معرفته، وإذا كان الرب قد كرم الإنسان على لسان موسى متجليًا ذلك فى تعبيره عندما وصل إلى خلق الإنسان فقال «دعنا نعمل الإنسان على صورتنا وشبهنا» فكلمة «دعنا نعمل» let us هنا تعبير يوضح أنه أخذ به الآخرين كموضوعات تابعة.

إذن من الواضح إن الإنسان جاء فى نهاية الخلق، «ولم يضن الرب عليه من الهبات واهبًا له العقل وهو أفضل العطايا، ومانحًا له كل وسائل الحياة كى يتوق إلى معرفته أو أن يتوق إلى ما هو فإن أى الإنسان إلى الأبدى الخالد وهو الرب»[1].

ويمكن أن نلخص ذلك فى عبارة جاءت فى اللاهوت الشرقى فى القرون الأولى وكررها كثيرًا من الآباء المسيحيين وإن كان بأسلوب مختلف: (صار الله إنسانا، لكى يصير الإنسان إلهيا)[2].

وبهذا التدرج سداسى المراحل يكون قد أتم الرب خلقه طبقًا لما رآه فيلون السكندرى. حيث بدأ الخلق عنده من العدم ثم خلق العالم المعقول وترتيبه فى عقل الخالق كمرحلة أولى واتيان الأرض وإنباتها كمرحلة ثانية وثالثة، وخلق السماء المادية وتزينها بالنجوم والكواكب كمرحلة رابعة، وخلق ذوات الأنفس الحية من الأسماك والحيوانات كمرحلة خامسة. وتنتهى هذه المراحل بمرحلة خلق الإنسان كمرحلة سادسة أو أخيره ولذلك قد يكون أتم الرب خلقه للعالم بالتدريج ثم يستريح فى اليوم السابع ويجعل هذا اليوم عيدا للعالم ككل وليس عيدًا لمدينة أو قطر بمفرده فحسب[3].

والملاحظ فى هذا التدرج أنه بُدئ من عدم ثم مرحلة أرقى فأرقى حتى

(1) Philo:. on the creation, chxxiv, 75, p 59. & ch xxv, 77, p 61.

(2) نزار محمود: الإله الإلحاد المعاصر، دار الحكمة، بيروت 1968 ص 19.

(3) Philo. on the creation. chxxx & ch 89. p 73

أن يصل قمة التدرج وهو الإنسان الذى يشبه الإله فى عقله لا فى جسده، ولا يعنى ذلك أن هذا التطور تطورًا بيولوجيا كما جاء فى نظرية نشوء الأحياء عند أنباذوقليس(1) كفكر كلاسيكى أو نظرية النشوء والارتقاء عند دارون كفكر حديث. إنما التطور هنا أو التدرج جاء ثيولوجيا مستقى من خلال الفكر الدينى اليهودى الممثل فى الكتاب المقدس من ناحية، وإضافةً مزيجا من الفلسفة اليونانية عليه من ناحية أخرى. لدرجة يمكن أن نقول فيها أن هذا التدرج فى الخلق ما هو إلا تيمايوس مصغرًا نسبة إلى محاورة تيمايوس لأفلاطون، وهو ما سنوجه إليه بحثنًا.

ثالثًا: المؤثرات الأفلاطونية فى خلق العالم

إن أثر تيمايوس عند فيلون يعد تأثرًا عميقًا، ويمتد إلى معظم كتاب خلق العالم عند فيلون de oficio mundi، خاصة إذا استقطبنا الاعتبارات الرياضية أو رجعنا إلى الأصول الفلسفية والعلمية فى تكوين محاورة تيمايوس وتعاليمها التى تحتل مكانًا فعليًا فى فلسفة فيلون عن الخلق والتفاعل بين الحوار الأفلاطونى وكتاب خلق العالم عند فيلون تفاعلًا يثير الانتباه ويطرح تسائلا. هل فيلون هنا فى هذه المسألة كان مفسرًا أم ناقلًا أم تابعًا؟ والإجابة على هذا التساؤل تقتضى منا البحث فيما كتب فيلون عامةً أو ما يخص خلق العالم فى أبحاثه المتناثرة. لأن التأثر بأفلاطون لم يكن قصرًا على كتاب خلق العالم فحسب وإنما امتد إلى خمسة أبحاث أخرى وهى التأويل المجازى clegum allegbriae و من الوريث، quis rerum diviner

---

(1) وانظر أيضا شارل فرنر. الفلسفة اليونانية. ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الأنوار، بيروت 1968. ص 45.

And see also/ Burnet:. Early Greek philosophy, 3rd. edition. London. 1920. p 73.